جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة

(دراسة حديثية موضوعية)

إعداد

أ. د. سمية علي أحمد لبن

الأستاذ بقسم الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة
(دراسة حديثية موضوعية)

سمية علي أحمد لبن
قسم الحديث وعلومه - كلية الدراسات الإسلامية والعربية القاهرة - جامعة الأزهر- مصر
البريد الالكتروني somia.laban@gmail.com

ملخص البحث

ما يعيشه الإنسان من أيام وسنين في حياته الدنيا هو رأس ماله الحقيقي، وهو مادة حياته الأبدية في اليوم الآخر، إما إلى الجنة أو إلى النار(١). وقد وهبنا الله هذا العمر كي نُنْفِقه فيما ينفعنا عند ربنا، ونَدَّخِره يوم اللقاء من ذكر وشكر، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾(٢)، وَعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**"(٣)، فالزمن الماضي لا يعود أبداً؛ ولهذا ارتأيت أن يكون عنوان بحثي: "**استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة**"**(دراسة حديثية موضوعية)**... وهو محاولة لاستخراج ذلك من خلال الأحاديث النبوية؛ **ليعرف المرء كيف يدير حياته الدنيا؛ ليحقق أكبر قدر من الاستفادة والانتفاع منها في الآخرة.**

الكلمات الافتتاحية :- استراتيجية – الانتفاع – الحياة الدنيا – الأخرة .

---

(١) قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،سورة المؤمنون: الآيات ١١٢ – ١١٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٣٤١، ح ٧٨٤٦) كتاب الرقاق – نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وأقره الذهبي.

The Strategy of Benefiting from Worldly Life for the Hereafter (A Thematic Hadith Study)

Sumia Aali 'Aahmad Laban
Department of Hadith and its Sciences - Faculty of Islamic and Arabic Studies, Cairo - Al-Azhar University – Egypt.
Email :-somia.laban@gmail.com

Abstract :-

The days and years a person lives in this worldly life are their true capital, and it is the substance of their eternal life in the hereafter, either to Paradise or to Hell. God has granted us this lifetime to spend it in ways that benefit us before our Lord and to save it for the day of meeting with remembrance and gratitude. Allah Almighty said

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

(Surah Al-Furqan, 25:62) .

.Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) reported that the Messenger of Allah (peace and blessings be upon him) said to a man while admonishing him: "Take advantage of five before five: your youth before your old age, your health before your illness, your wealth before your poverty, your free time before your busyness, and your life before your death." Time that has passed never returns; therefore, I have chosen the title of my research: "The Strategy of Benefiting from Worldly Life for the Hereafter (A Thematic Hadith Study)." This is an attempt to extract this through the Prophetic Hadiths, so that a person may know how to manage their worldly life to achieve the greatest benefit and profit in the hereafter.

Keywords :- The Strategy - Benefiting - Worldly Life – the Hereafter - Study**.**

وتتلخص مشكلة البحث في محاولة الإجابة على الأسئلة التالية:

– ما أدلة الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة من القرآن والسنة؟

– ما الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الموضوع؟

– ما الاستراتيجية التي يدير بها المرء حياته الدنيا من خلال السنة النبوية؛ ليحقق أكبر قدر من الاستفادة والانتفاع منها في الآخرة؟

أهداف البحث:

◈ الوقوف على أدلة الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة من القرآن والسنة.

◈ بيان الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الموضوع.

◈ توضيح الاستراتيجية التي يدير بها المرء حياته الدنيا من خلال السنة النبوية؛ ليحقق أكبر قدر من الاستفادة والانتفاع منها في الآخرة.

وتشتمل الخطة على مبحثين، وخاتمة:

✱ **المبحث الأول:** التعريف بـ"استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة"، وأدلته من القرآن والسنة، ويشتمل على مطلبين:

– **المطلب الأول:** التعريف باستراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة، وخصائص عمر الإنسان.

– **والمطلب الثاني:** أدلته من القرآن والسنة.

✱ **والمبحث الثاني:** استراتيجية "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة" في السنة النبوية، **ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب:**

التمهيد: مكانة الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة.

المطلب الأول: تجديد النية.

والمطلب الثاني: تحديد الأولويات في الأعمال.

والمطلب الثالث: التوازن بين الأعمال للانتفاع بها في الآخرة.

والمطلب الرابع: صور من تحديد الأعمال والتوازن بينها في السنة النبوية.

أما الخاتمة: فتشتمل على أهم نتائج البحث، وكيف أن العمل على "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة" والاستفادة منه هي التي تحدد الفارق بين الناجحين وغيرهم ﴿يَومَ لَا يَنفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ﴾[1] .... إذ أن السمة المشتركة بين كل الناجحين: الانتفاع بحياتهم الدنيا في دار الخلود.

أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا...

وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ.

(١) سورة الشعراء، آية ٨٨.

المبحث الأول : التعريف بـ"استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة"، وأدلته من القرآن والسنة

المطلب الأول: التعريف باستراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة، وخصائص عمر الإنسان:

أولاً- تعريف الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة:

الانتفاع بالشيء لغة: من «نفَعَ يَنفَع، نَفْعًا» والنفع ضد الضرّ [١]، «والنَّفْعُ: هو الْخَيْرُ» [٢]. والانتفاع: هو ما يُستعان به في الوصول إلى الخيرات. وما يتوصل به إلى الخير، فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر[٣].

وهو الحصول على الخيرات وثمرات عمله في الآخرة.

من خلال ما سبق يمكن تعريف "استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة" اصطلاحًا:

بأنها الطرق والوسائل التي يتم من خلالها تدبير أكبر قدر يكون فيه الانتفاع والحصول على الخيرات والثمرات من عمله بالدنيا في اليوم الآخر.

ثانياً- خصائص عمر الإنسان:

عمر الإنسان هو رأس ماله الحقيقي، وهو مادة حياته الأبدية في اليوم الآخر، إما إلى الجنة أو إلى النار، يقول تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] .

---

(١) «العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي » (٢/ ١٥٨)..

(٢) «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي (٢/ ٦١٨).

(٣) «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص٣٢٨)، وانظر «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ٢٢٥٨).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات ١١٢ – ١١٤.

وصدق ابن القيم في قوله: "وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْعَبْدِ خَيْرًا: أَعَانَهُ بِالْوَقْتِ، وَجَعَلَ وَقْتَهُ مُسَاعِدًا لَهُ، وكُلَّمَا هَمَّتْ نَفْسُهُ بِالْقُعُودِ أَقَامَهُ الْوَقْتُ وَسَاعَدَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا: جَعَلَ وَقْتَهُ عَلَيْهِ، وَنَاكَدَهُ وَقْتَه، فَكُلَّمَا أَرَادَ التَّأَهُّبَ لِلْمَسِيرِ: لَمْ يُسَاعِدْهُ الْوَقْتُ"(١).

وعمر المرء هو حياته الدنيا، وهو الزمن المعروف، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة؛ ويُعْرف بآثاره ونتائجه التي تنتج عنه.

لهذا عمر الإنسان في حياته الدنيا، يتصف بـ:

* سرعة انقضائه.

* ما مضى منه لا يعود ولا يعوض، "فجَمِيعُ الْمَصَالِحِ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنَ الْوَقْتِ، وَإِنْ ضَيَّعَهُ العبد لَمْ يَسْتَدْرِكْهُ أَبَدًا(٢).

وكما قال الشاعر:

يَا مَن يَعد غَدا لتوبته ... أَعلَى يَقِين من بُلُوغ غَد

الْمَرْء فِي زلل على أمل ... ومنية الْإِنْسَان بالرصد

أَيَّام عمرك كلهَا عدد ... وَلَعَلَّ يَوْمك آخر الْعدَد(٣)

فكل إنسان له كمية من الأيام، وكمية من العمر، وعدد محدود من الأنفاس، فكل زفير وشهيق معدود، وكل إنسان له رزق مقسوم من هذه الحياة، وكلما امتد العمر كلما نقصت هذه الكمية التي أحصاها الله سبحانه وتعالى من الأنفاس، ولا ندري نحن بحقيقتها.

(١) يُراجع مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٣/ ١٢٥).
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء، لابن القيم: (ص: ١٥٦).
(٣) المدهش، لابن الجوزي (ص: ٢٣٢).

المطلب الثاني: الأدلة من القرآن والسنة:

أولاً- من القرآن الكريم:

• أقسم الله تعالى بذلك في مواطن كثيرة من كتابه العزيز؛ لأهميته:

فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٢)، ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٥)، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (٦)، وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (٧).

يقول الرازي: "فَكَأَنَّ الدَّهْرَ وَالزَّمَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُصُولِ النِّعَمِ، فَلِذَلِكَ أَقْسَمَ بِهِ وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فُرْصَةٌ يُضَيِّعُهَا الْمُكَلَّفُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً﴾(٨)"(٩).

وفي هذا القسم لفت لأنظار الخلق وتنبيههم إلى أهمية هذا الشيء ومنفعته.

ثانياً- من السنة النبوية:

كان ﷺ مِن أَشَدِّ الناسِ حِرْصاً على الانتفاع بعمره؛ لذلك حث المسلمين على اغتنامه، **فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ، لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،**

---

(١) سورة الفجر: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الضحى: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة العصر: الآيتان ١، ٢.

(٤) سورة الليل: الآيتان ١، ٢.

(٥) سورة المدثر: الآيتان٣٣، ٣٤.

(٦) سورة التكوير: الآيتان ١٧، ١٨.

(٧) سورة الانشقاق: الآيتان ١٦، ١٧.

(٨) سورة الْفُرْقَان: الآية ٦٢.

(٩) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٧٧).

وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"[1]، "فالعاقل إذا أمسى لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجلهُ يدركه قبل ذلك، فيعمل ما يلقى نفعه بعد موته ويبادر أيام صحته بالعمل الصالح، فإن المرض قد يطرأ فيمنع من العمل فيخشى على من فرط من ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد؛ فمن لم ينتهز الفرصة يندم"[2].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، (٤/ ٣٤١، ح ٧٨٤٦) كتاب الرقاق – نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وأقره الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان، باب الزهد والأمل، (١٢/ ٤٧٦) ح٩٧٦٧.

(٢) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٣٨).

المبحث الثاني: استراتيجية "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة" في السنة النبوية

تمهيد: مكانة "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة":

١- رأس مال العبد:

أيام عمرنا في الحياة الدنيا ما هي إلا صفحات تقلب في كتاب حياتنا، وما الساعات في تلك الأيام إلا كالأسطر في صفحاتها، التي سرعان ما تختم الصفحة لننتقل إلى صفحة أخرى... وهكذا تباعًا حتى تنتهي صفحات كتاب العمر.. وبقدر ما نحسن تقليب صفحات أيامنا تلك نحسن الاستفادة من كتاب حياتنا.. وبقدر استغلالنا لأوقاتنا نحقق ذواتنا ونعيش حياتنا كاملة غير منقوصة، فإن الله تبارك وتعالى جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فمن زرع فيها ما ينفعه في الآخرة باجتناب المعاصي وأداء الطاعات، فمزرعته صارت خيرًا له ونجاة وفوزًا في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (١).

٢- من أفضل النعم:

يعد الانتفاع الإنسان بحياته الدنيا بعدد ما فيها من أيام من أنفس وأثمن النعم، وقد أشار القرآن إلى عِظمِ هذا الأصل في أصول النعم، وألمح إلى عُلوّ مقداره على غيره، فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الوقت ورفيع قدره وكبير أثره، يقول الله عز وجل في معرض الامتنان وبيان عظيم فضله على الإنسان: ﴿وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الشورى: من الآية ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٣، ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] فهذه المخلوقات العظيمة والآيات الباهرة مسخرة من لدن خالقها ومدبر أمرها لخدمة الإنسان ومنفعته.

وتؤكد السنة المطهرة ما جاء في القرآن الكريم من نعم الله على عباده وأنهم مأمورون بحفظه ومسؤولون عنه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ** "[2].

والمراد: يقول ابن بطال: "أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًّا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون، وأشار بقوله " كثير من الناس " إلى أن الذي يوفق لذلك قليل.

ويقول ابن الجوزي: الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم فقد ضرب النبي ﷺ للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن؛ فالصحة والفراغ رأس المال وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس ليربح خيري الدنيا والآخرة"[3].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ٨٨) ح ٦٤١٢، كتاب الرقاق ، باب : لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) فتح الباري لابن حجر، بتصرف: (٢٣٥/١١).

٣- سؤال المرء عن انتفاعه بحياته الدنيا الذي استغرق عمره يوم القيامة:

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**"(١).

فهذه الأسئلة الأربعة التي يُسْألها العبد يوم القيامة، سيُسْأل فيها عن مدة عمره كلها، ذلك لأن عمر المسلم أمانة عنده، وهو مسؤول عنه حتى عند مظنة قيام الساعة.

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَوْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**"(٢).

٤- العبادات محددة بأزمنة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(٣).

فالصلاة والزكاة والصيام والحج، ونحوها عبادات حددها الله بأزمنة، لا يصح تأخيرها عنها، ليقوم بها المؤمن في وقتها؛ ولا يضيعها.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢١٧) برقم: (٢٤١٧)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب في القيامة، وقال: حسن صحيح، والدارمي في "مسنده" (١ / ٤٥٢) برقم: (٥٥٤)، المقدمة، باب من كره الشهرة.

(٢) أخرجه وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٧٢٧) برقم: (١٣١٠٠) ، (٥ / ٢٧٤٤) برقم: (١٣١٨١) بنحوه مختصرا، الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٧ / ٢٦١) برقم: (٢٧١١) ، (٧ / ٢٦٢) برقم: (٢٧١٢) بلفظه، (٧ / ٢٦٣) برقم: (٢٧١٣) بنحوه، (٧ / ٢٦٣) برقم: (٢٧١٤) بلفظه، (٧ / ٢٦٤) برقم: (٢٧١٥) بلفظه، وقال: إسناده صحيح.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

٥- ندم العبد على إضاعة الانتفاع بالحياة الدنيا أكثر من أي شيء آخر:

فعند احتضار العبد للوفاة يندم على ذلك، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١).

وأدرك السلف الصالح هذا الأمر، فكانوا أحرص ما يكون على أوقاتهم:

- فهذا ابن عقيل يقول: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مُسْتَطْرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خَطَر لي ما أسطره"(٢).

- ويقول الإمامُ ابن جماعة: "لا يُغترّ بخدع التسويف والتأْمِيل، فإنَّ كلَّ ساعة تَمضي من عُمر العبد لا بَدَلَ لها، ولا عِوض عنها"(٣).

وبهذا يقول ابن القيم: "وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْعَبْدِ خَيْرًا: أَعَانَهُ بِالْوَقْتِ، وَجَعَلَ وَقْتَهُ مُسَاعِدًا لَهُ، وكُلَّمَا هَمَّتْ نَفْسُهُ بِالْقُعُودِ أَقَامَهُ الْوَقْتُ وَسَاعَدَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا: جَعَلَ وَقْتَهُ عَلَيْهِ، وَنَاكَدَهُ وَقْتَه، فَكُلَّمَا أَرَادَ التَّأَهُّبَ لِلْمَسِيرِ: لَمْ يُسَاعِدْهُ الْوَقْتُ"(٤).

٦- يمنع من الوقوع في المعصية:

فالانشغال بالانتفاع بالحياة الدنيا تمنع من الوقوع في المعصية:

يقول ابن القيم: "وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ"(٥).

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٩٩، ١٠٠.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لأبي العباس ابن رجب: (١/ ٣٢٤).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة: ص (٨٧).

(٤) يُراجع مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٢٥).

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ١٥٦).

المطلب الأول: تجديد النية

عمر العبد: "...هو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مرَّ السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته"(١)... لهذا احتساب النية في كل عمل لله، وتجديدها في كل وقت أمر مطلوب؛ لكي تُصبح جميع جوانب حياة المسلم تعبدية، وحسنات له يوم القيامة.

فعن أبي ذر (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "...وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا"(٢).

وهذا ما جعل الصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، يقول: "إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"(٣).

وإن عمارة ذلك "يكون بالاشتغال في جميع آناء الوقت بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل، أو مشرب، أو منكح، أو منام، أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه، كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات"(٤).

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٥٨) برقم: (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى بنحوه مختصرا، و(٣ / ٨٢) برقم: (١٠٠٦) وكتاب الزكاة – باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف بلفظه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه": (٥ / ١٦١) برقم: (٤٣٤١) كتاب المغازي – باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٥ / ١٦٢) برقم: (٤٣٤٤) وباب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفيه: وَأرجو فِي نَوَمتِي مَا أَرجو فِي قَومتي.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٠).

المطلب الثاني: تحديد الأولويات في الأعمال

إن من الأهمية البالغة لكل مسلم أن يعلم كيف يحدد الأولويات كما في القرآن والسنة النبوية؛ حتى لا يقدِّم المهم على الأهم، أو يحرص على المفضول ويترك الفاضل.

فإن في الإسلام أولويات وأمورًا بعضها أولى من بعض، فلا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير.

فبعض الأعمال آكد من بعض كأركان الإسلام فصلاة الفرض آكد من الوتر، والوتر آكد من النوافل الأخرى، وبعض الأعمال أحب إلى الله من بعض كالصلاة في وقتها، وبعض النفقات أعظم أجرًا من بعض كالنفقة على النفس والأهل، وبعض الأمور التي يدعى إليها أقدم من بعض، والمحرمات بعضها أعظم من بعض فالشرك أخطرها ويليه قتل النفس ....، والفقه في هذه الأمور ضروري حتى يقدم الإنسان أهم الأمرين عند التعارض أو تعذر القيام بهما معًا.

مشروعيته:

❋ حذر الإسلام من إهمال الأولويات وتوعد من يفعل ذلك بالويل والهلاك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1]، فجعل محبة الله ورسوله مقدمة على كل شيء عند كل مسلم.

(١) سورة التوبة: الآية ٢٤.

وأمر الله باتباع كل ما هو أفضل وأحسن، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(١).

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

فالآية نهت عن سب آلهة المشركين وتحقيرها، رغم أنها مصلحة، حتى لا يسب المشركون المولى عز وجل، فكانت مفسدة سب الباري عز وجل أعظم من كل مصلحة فيها ذم لآلهة المشركين، يقول ابن كثير: «يقول تعالى ناهيًا لرسوله والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو»(٣). ويقول القرطبي: «وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين»(٤).

✱ وقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) حريصين كل الحرص على أن يعرفوا الأَوْلى من الأعمال، ليتقرَّبوا إلى الله تعالى به، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل العمل، وعن أحب الأعمال إلى الله تعالى.

فعن عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه)، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ". قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي(٥).

---

(١) سورة الزمر: الآية٥٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣١٤).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٦١).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (٥٢٧) (كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها) بلفظه، (٤ / ١٤) برقم: (٢٧٨٢) (كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد =

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ بِهَا(١).

❋ وإلى هذا ذهب علماء الأمة : يقول الإمام الغزالي رحمه الله : "وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور، ...، كتفضيل الفرائض على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت، وهذا من تقديم حاجة الوالدة... فينبغي أن يبدأ بالصلة بالأقرب، فإن استويا، فالأحوج، فإن استويا فالأتقي"(٢).

لقد استطاع الإمام الغزالي رحمه الله أن يُبين للأمة هذه المسألة الحيوية، والهامة، فالأوقات قليلة، والأعمار قصيرة، والأعمال كثيرة.

والسير) (بنحوه.)، (٨ / ٢) برقم: (٥٩٧٠) (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) (بلفظه.) ، (٩ / ١٥٦) برقم: (٧٥٣٤) (كتاب التوحيد ، باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملا) (بنحوه مختصرا.) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٢) برقم: (٨٥) (كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تَعَالَى أفضل الْأَعمال) (بنحوه.).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٨٩) برقم: (٣٥٦٠) (كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم) (بلفظه) ، (٨ / ٣٠) برقم: (٦١٢٦) (كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا) (بلفظه) ، (٨ / ١٦٠) برقم: (٦٧٨٦) (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله) (بنحوه.) ، (٨ / ١٧٤) برقم: (٦٨٥٣)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٨٠) برقم: (٢٣٢٧) (كتاب الفضائل ، باب مباعدته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآثام واختياره من المباح أسهله) بلفظه.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، بتصرف: (٣/ ٤٠٣)

وهذا ابن القيم يرفض وجود عمل يكون له الأفضلية على الإطلاق، ورجح أن لكل وقت عبادة، فالجهاد المتعين –مثلاً– هو أفضل العبادات في وقت الدفاع عن البلاد، حتي ولو أدي ذلك إلي ترك الأوراد من صلاة الليل، وصيام النهار من المسنونات(١).

المفاسد المترتبة من عدم تحديد الأولويات في الأعمال:

غياب تحديد الأولويات باب من أبواب الانحراف والاضطراب المؤدي إلى مفاسد عظيمة على مستوى الأفراد والجماعات، ومن ذلك:

أولا: وضع الأمور في غير مواضعها:

قال الإمام أبو عبيدة رحمه الله: «مَنْ شَغلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ الْمُهِمّ أَضَرَّ بِالْمُهِمّ»(٢).

ثانياً: الاضطراب على الصعيد الشخصي والعام في الأعمال:

فهو يثمر دائماً إهداراً للطاقات والأوقات، واضطراباً بها.

ثالثاً: فوات الجزاء على الكثير من الأعمال:

"فمن شغله الفرض عن النّفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور"(٣)؛ ذلك لأن الجاهل بمراتب الأعمال يهتم –مثلا– بالمستحبات على حساب الواجبات، فيضيع عليه الأجر الكثير.

(١) يُنْظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٠٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (٢/ ١٦٠).

(٣) فتح الباري، لابن حجر: ٣٤٣/١١.

المطلب الثالث: التوازن بين الأعمال للانتفاع بها في الآخرة

الإسلام منظم حياة البشر:

إن الإسلام جاء منظماً لحياة البشر، وأولاها أهمية كبرى، دون طغيان، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾(١)... ولكن عندما ننظر إلى حياتنا في جوانبها المختلفة – مادية كانت أو معنوية، فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها – نجد الموازنة بين الأولويات فيها مختلاً كل الاختلال.

ولقد وازن الإسلام بين المطالب كلِّها في اتِّساق لا طغيان فيه لجانب على جانب؛ بل أكَّد على ذلك بالنهي عن الغلوِّ والإفراط، كما نهى عن التفريط والإهمال، وأمر بالتوسُّط والاعتدال في جميع الأحوال، ولم تأت الشريعة إلا بتنظيم تحقيق تلك المطالب، وبيان حدودها التي لا تتصادم مع فطرة الإنسان ووظيفته التي خُلق من أجلها، ألا وهي عبادة الله وعمارة الأرض بالنافع والصالح، فأباحت الشريعة كل شيء فيه منفعة راجحة للإنسان، ونهت عن كل شيء فيه مفسدة ومضرة على حياة الإنسان أو عقله أو ماله أو جسده.

الأمر بالتوازن في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)؛ فلم يخلق الله تعالى هذا الكون ليبقى هملاً غير مستثمَر، أو لينعزل عنه الخلق، فسخر للعبد كل هذا الكون، للاستفادة من مكنوناته وكنوزه.

وقال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة الرحمن: الآيات من ٧ إلى ٩.

(٢) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٣) سورة القصص: آية ٧٧.

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾(١)، فهم مع تجارتهم لم تشغلهم عن الجانب الروحي والتعبدي والخلقي الذي يدفع إليه الإشفاق من الحساب بين يدي الله في الآخرة.

الأمر بالتوازن في السنة النبوية:

لقد ضرب النبي محمَّد ﷺ أروع الأمثلة العملية والتوجيهية في التوازن الروحي والمادي، حتى يصل إلى درجة الغضب الشديد ممن يخالف الفطرة البشرية وسنة الأنبياء والمرسلين، فقد بلغه مرةً أن ناسًا حلفوا – مبالغةً في التعبُّد لله – بالامتناع عن النوم وعن الزواج وعن الأكل والشرب؛ فكان موقفه منهم حاسمًا؛ تحقيقًا لمنهج التوازن الذي بُعث به؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"(٢).

أضرار عدم التوازن بين الأعمال:

عن عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ،

---

(١) سورة النور: آية ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح) (٧ / ٢) برقم: (٥٠٦٣) (بلفظه) ومسلم في "صحيحه" (كتاب النكاح) (٤ / ١٢٩) برقم: (١٤٠١) (بمعناه مختصرا.).

قَالَ: فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ(١) ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا(٢)، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ ؟ قَالَ: كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، قَالَ: وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، قَالَ: فَشَدَّدْتُ ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ . قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ"، قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ (٣).

---

(١) بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ: أَيْ يَكْفِيكَ.(النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ١/ ٣٨١).

(٢) (وَإِن لزورك عَلَيْك حَقًا) الزور بِفَتْح الزَّاي وَسُكُون الْوَاو وبالراء بِمَعْنى الزائر وَهُوَ الضَّيْف. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٢/ ١٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٥٠) برقم: (١١٣١) (أبواب التهجد ، باب من نام عند السحر) (بنحوه مختصرا.) ، (٢ / ٥٤) برقم: (١١٥٣) (أبواب التهجد ، باب حدثنا علي بن عبد الله) (بنحوه مختصرا.) ، (٣ / ٣٩) برقم: (١٩٧٤) (كتاب الصوم ، باب حق الضيف في الصوم) (بمعناه مختصرا.) ، (٣ / ٣٩) برقم: (١٩٧٥) (كتاب الصوم ، باب حق الجسم في الصوم) (بنحوه.) ، (٣ / ٤٠) برقم: (١٩٧٦) (كتاب الصوم ، باب صوم الدهر) (بهذا اللفظ) ، (٣ / ٤٠) برقم: (١٩٧٧) (كتاب الصوم ، باب حق الأهل في الصوم) (بنحوه.) ، (٣ / ٤٠) برقم: (١٩٧٨) (كتاب الصوم ، باب صوم يوم وإفطار يوم) (بنحوه مختصرا.) ، (٣ / ٤٠) برقم: (١٩٧٩) (كتاب الصوم ، باب صوم داود عليه السلام) (بنحوه مختصرا.) ، (٣ / ٤١) برقم: (١٩٨٠) (كتاب الصوم ، باب صوم داود عليه السلام) (بمعناه.) ، (٤ / ١٦٠) =

يقول القاضي عياض في شرح هذا الحديث[1]: "خوفه ﷺ من:

- عجز عبد الله عن ذلك.

- أو ضعف الجسم عما هو أكثر من الفرائض، أو أعظم أجرًا من النوافل، ألا ترى ابن عمرو كيف قال في بعض هذا الحديث حين كبر: " وددت لو كنت قبلت رخصة رسول الله ﷺ"، أو خوف الملل لكثرته، ويبينه قوله في الحديث الآخر: " لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل وتركه "[2]، ولقوله: " فإن الله لا يمل حتى تملوا "[3]، وقد قال تعالى

برقم: (٣٤١٨) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وآتينا داود زبورا) (بلفظه) ، (٤ / ١٦٠) برقم: (٣٤١٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وآتينا داود زبورا) (بنحوه مختصرا.) ، (٤ / ١٦٠) برقم: (٣٤٢٠) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود) (بنحوه مختصرا.) ، (٦ / ١٩٦) برقم: (٥٠٥٢) (كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه) (بنحوه مطولا.) ، (٦ / ١٩٦) برقم: (٥٠٥٣) (كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه) (بمعناه مختصرا.) ، (٧ / ٣١) برقم: (٥١٩٩) (كتاب النكاح ، باب لزوجك عليك حق) (بنحوه مختصرا.) ، (٨ / ٣١) برقم: (٦١٣٤) (كتاب الأدب ، باب حق الضيف) (بنحوه.) ، (٨ / ٦٢) برقم: (٦٢٧٧) (كتاب الاستئذان ، باب من ألقي له وسادة) (بمعناه.) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٦٢) برقم: (١١٥٩) (كتاب الصيام، باب النهي عَنْ صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا) بلفظه مطولا.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٤/ ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٥٤) برقم: (١١٥٢) (أبواب التهجد ، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٦٤) برقم: (١١٥٩) (كتاب الصيام ، باب النهي عَنْ صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا) (مختصرا).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣) برقم: (٢٠) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله) (بمعناه.) ، (١ / ١٧) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان ، باب أحب الدين إلى الله أدومه) (بنحوه.) ، (٢ / ٥٤) برقم: (١١٥١) (أبواب التهجد ، باب ما يكره من =

ذامًا لقومٍ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1]، على أحد التأولين، أو لمجموع هذه العلل. فقد نبه في الحديث الآخر على ذلك بقوله: " هَجَمَتْ عَيْنَاكَ ": أي غارتا ودخلتا " ونَفِهَتْ نَفْسُكَ ": أي أعيت، وكقوله في الحديث الآخر: " نَهِكَتْ "[2]: أي ضعفت وبلغ بك الجهد منتهاهُ، ولحقوق غيره المتعلقة به من الأهل، وحقها من الوطء نهارًا أو ليلاً، وحق زَورَه – وهو ضيفه – من خدمته وتأنيسه بالأكل، وحق ولده، كما جاء في الحديث، وكذلك اكتسابه لهم وإنفاقه عليهم".

ويلخص ابن حجر معنى هذا الحديث بقوله: "وَأَنَّ مَنْ تَكَلَّفَ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا طُبِعَ عَلَيْهِ يَقَعُ لَهُ الْخَلَلُ فِي الْغَالِبِ"[3].

الترويح عن النفس وضرورته للتوازن النفسي:

فقد جعل الإسلام من أسباب التوازن النفسي أن يكون في عمل اليوم والليلة جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجِدّ، والقلوب تمل كما تملّ الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا

التشديد في العبادة) (بلفظه) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٩) برقم: (٧٨٥) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس فِي صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد) (بنحوه.).

(١) سورة الحديد: من الآية ٢٧.

(٢) انظر صحيح مسلم: ٣/ ١٦٥، ح ١١٥٩.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٩).

وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [1].

هكذا كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يعلّم أصحابه ويبين لهم أن القلوب تكل وتتعب وتتقلب فيجب العمل على مراعاتها والتنفيس عنها بين الفينة والأخرى بما أحل الله، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ووعوه وطبقوه في حياتهم العمليّة.

الخلاصة من هذا أن الأولويات تبدأ بحق الله تعالي ثم حق الإنسان مع نفسه وأهله وجيرانه .... وهكذا مع التوازن لا يغالي ولا يفرط بل يقدم الأهم فالمهم فالأقل أهمية .... وهكذا.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٤) برقم: (٢٧٥٠) (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر فِي أمور الآخرة) (بهذا اللفظ) ، (٨ / ٩٥) برقم: (٢٧٥٠) (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر فِي أمور الآخرة) (بنحوه مختصرا.).

المطلب الرابع: صور من تحديد الأعمال والتوازن بينها في السنة النبوية

١- أركان الإسلام قبل الفرائض:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ"(١).

٢- العقيدة أولى بالتقديم على غيرها:

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ-يعني القرآن- سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ : لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ ، لَقَالُوا : لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا ، وَلَوْ نَزَلَ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) (بنحوه مختصرا.) ، (٢ / ١١٩) برقم: (١٤٥٨) (كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (بنحوه.) ، (٢ / ١٢٨) برقم: (١٤٩٦) (كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا) (بهذا اللفظ) ، (٣ / ١٢٩) برقم: (٢٤٤٨) (كتاب المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم) (مختصرا.) ، (٥ / ١٦٢) برقم: (٤٣٤٧) (كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع) (بلفظه) ، (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧١) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (مختصرا.) ، (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بنحوه.) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الْأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بنحوه.) ، (١ / ٣٨) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الْأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) ، (بنحوه.).

: لَا تَزْنُوا ، لَقَالُوا : لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا ، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾[1]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ"[2]، هكذا نزلت السور التي تتناول العقيدة قبل التي تتناول التشريعات؛ ذلك لأن توحيد الله ومطاردة الشرك مقدم على كل شيء.

وعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه)، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[3]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا "[4].

٣- تقديم الفرض والواجب على السنة والنفل:

فلا يقوم أحد مثلاً بأداء بعض النوافل إذا كان في أدائها إخلال بالواجب، كمن يشق عليه صيام النفل بحيث لا يستطيع أداء واجباته على الوجه المطلوب.

ومن ذلك نهي النبي ﷺ للزوجة أن تصوم تطوعاً، وزوجها حاضر إلا بإذنه؛ لأن حق الزوج واجب عليها، والصوم نافلة، وقد اتفق العلماء على ذلك؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[5](رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ**

---

(١) سورة القمر: آية ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٤٣) برقم: (٤٨٧٦) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر) (مختصرا.) ، (٦ / ١٨٥) برقم: (٤٩٩٣) (كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن) بلفظه.

(٣) "حَزَاوِرَة": هُوَ جَمْع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ، وَهُوَ الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ، وَالتَّاءُ لِتأنيث الْجَمْعِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٨٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (١ / ٤٢) برقم: (٦١) (أبواب السنة ، باب في الإيمان)، ورجاله ثقات يُنظر تقريب التهذيب: ٦٢١/ ٤٢٠٠، ٧٠٤/ ٤٨٢٥، ١٠٣٧/ ٧٤٦٤، الجرح والتعديل: ٣/ ١٤٩/ ٦٤٩.

(٥) العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لابن العطار، بتصرف: (٢/ ٨٧٤).

إِلَّا بِإِذْنِهِ،..."[1].

٤- تعارض المصالح والمفاسد:

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: "أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ، اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ[2]. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: لَوْلَا حِدْثَانُ[3] قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ"[4].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٥٦) برقم: (٢٠٦٦) (كتاب البيوع ، باب قول الله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم) (بنحوه مختصرا.) ، (٧ / ٣٠) برقم: (٥١٩٢) (كتاب النكاح ، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا) (بنحوه مختصرا.) ، (٧ / ٣٠) برقم: (٥١٩٥) (كتاب النكاح ، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه) (بهذا اللفظ) ، (٧ / ٦٥) برقم: (٥٣٦٠) (كتاب النفقات ، باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد) (بنحوه مختصرا.) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٩١) برقم: (١٠٢٦) (كتاب الزكاة ، باب ما أنفق العبد من مال مولاه) (بنحوه.).

(٢) "اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ": المراد: قَصَّرَتْ عَنْ تَمَامِ بِنَائِهَا وَاقْتَصَرَتْ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ؛ لِقُصُورِ النَّفَقَةِ بِهِمْ عَنْ تَمَامِهَا. (شرح النووي على مسلم ٩/ ٨٩).

(٣) حِدْثَانُ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ: أَوَّلُهُ، وَهُوَ مَصْدَرُ حَدَثَ يَحْدُثُ حُدُوثًا وَحِدْثَانًا. وَالْحَدِيثُ ضِدُّ الْقَدِيمِ. وَالْمُرَادُ بِهِ: قُرْبُ عَهْدِهِمْ بِالْكُفْرِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنِ الدِّينُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَوْ هَدَمْتُ الْكَعْبَةَ وَغَيَّرْتُهَا رُبَّمَا نَفَرُوا مِنْ ذَلِكَ. (النهاية في غريب الحديث: ١/ ٣٥١).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٢٦) (كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه) (بمعناه مختصرا.) ، (٢ / ١٤٦) برقم: (١٥٨٣) (كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها) (بهذا اللفظ) ، (٢ / ١٤٦) برقم: (١٥٨٤) (كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها) (بمعناه.) ، (٢ / ١٤٦) برقم: (١٥٨٥) (كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها) (بمعناه مختصرا.) ، (٢ / ١٤٧) برقم: (١٥٨٦) (كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها) (بمعناه.) ، (٤ / ١٤٦) برقم: (٣٣٦٨) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حدثنا موسى بن إسماعيل) (بلفظه) ، (٦ / ٢٠) برقم: (٤٤٨٤) (كتاب تفسير القرآن ، باب =

* ففِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ على أنه إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَصَالِحُ أَوْ تَعَارَضَتْ مَصْلَحَةٌ وَمَفْسَدَةٌ وَتَعَذَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَ فِعْلِ الْمَصْلَحَةِ وَتَرْكِ الْمَفْسَدَةِ بُدِئَ بِالْأَهَمِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ نَقْضَ الْكَعْبَةِ وَرَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَصْلَحَةٌ، وَلَكِنْ تُعَارِضُهُ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهُ وَهِيَ خَوْفُ فِتْنَةِ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ قَرِيبًا؛ وَذَلِكَ لِمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ فَضْلِ الْكَعْبَةِ فَيَرَوْنَ تَغْيِيرَهَا عَظِيمًا فَتَرَكَهَا ﷺ.

* وفي الحديث أيضًا: بيان أن فِكْر وَلِيِّ الْأَمْرِ فِي مَصَالِحِ رَعِيَّتِهِ وَاجْتِنَابُهُ مَا يَخَافُ مِنْهُ تَوَلُّدُ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا إِلَّا الْأُمُورَ الشَّرْعِيَّةَ كَأَخْذِ الزَّكَاةِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وبيان تَأَلُّفُ قُلُوبِ الرَّعِيَّةِ وَحُسْنُ حِيَاطَتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَنْفِرُوا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِمَا يَخَافُ تَنْفِيرَهُمْ بِسَبَبِهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَرْكُ أَمْرٍ شَرْعِيٍّ"(١).

٥- تقديم الأكثر مصلحة على غيره، ودفع الأكثر مفسدة:

"قَاعِدَةُ الشَّرْعِ في هذا تَحْصِيلُ أَعْلَى الْمَصْلَحَتَيْنِ وَإِنْ فَاتَ أَدْنَاهُمَا، وَدَفْعُ أَعْلَى الْمَفْسَدَتَيْنِ وَإِنْ وَقَعَ أَدْنَاهُمَا"(٢).

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) (مختصرا.) ، (٩ / ٨٦) برقم: (٧٢٤٣) (كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو) (بمعناه.) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ٩٧) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها) (بمعناه مختصرا.) ، (٤ / ٩٧) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) ، (٤ / ٩٧) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) (بلفظه) ، (٤ / ٩٧) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) (بمعناه مختصرا.) ، (٤ / ٩٨) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) (بمعناه مختصرا.) ، (٤ / ٩٨) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) (بنحوه مطولا.) ، (٤ / ١٠٠) برقم: (١٣٣٣) (كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها) (بمعناه.).

(١) شرح النووي على مسلم (٩/ ٨٩).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/ ٢١٧).

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تُزْرِمُوهُ[1]، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ"[2].

يقول ابن حجر[3]: "إِنَّمَا تَرَكُوهُ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ لِأَنَّهُ كَانَ شَرَعَ فِي الْمَفْسَدَةِ؛ فَلَوْ مُنِعَ لَزَادَتْ إِذْ حَصَلَ تَلْوِيثُ جُزْءٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَوْ مُنِعَ لَدَارَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقْطَعَهُ فَيَتَضَرَّرُ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَقْطَعَهُ فَلَا يَأْمَنُ مِنْ تَنْجِيسِ بَدَنِهِ أَوْ ثَوْبِهِ، أَوْ مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْمَسْجِدِ".

ويقول ابن تيمية: "وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين.. وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات"[4].

---

(١) "لَا تُزْرِمُوه": أَيْ لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ بَوْلَهُ. يُقَالُ: زَرِمَ الدَّمْعُ وَالْبَوْلُ إِذَا انْقَطَعَا. (النهاية في غريب الحديث: ١/ ٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٥٤) برقم: (٢١٩) (كتاب الوضوء ، باب ترك النبي صلى الله عليه وسلم والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد) (بنحوه.) ، (١ / ٥٤) برقم: (٢٢١) (كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد) ، (١ / ٥٤) (بدون ترقيم) (كتاب الوضوء ، باب يهريق الماء على البول) (بمعناه.) ، (٨ / ١٢) برقم: (٦٠٢٥) (كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٦٣) برقم: (٢٨٤) (كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فِي المسجد) (بلفظه) ، (١ / ١٦٣) برقم: (٢٨٤) (كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فِي المسجد) (بنحوه.) ، (١ / ١٦٣) برقم: (٢٨٥) (كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فِي المسجد) (بنحوه مطولا.).

(٣) فتح الباري: (٣٨٦/١).

(٤) الفتاوي الكبرى، لابن تيمية ٥١٢/١٠.

ويبين ابن القيم ضرورة "التمييز في الأعمال بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها، فإن في الأعمال والأقوال سيدًا ومسودًا ورئيسًا ومرؤوسًا وذروة وما دونها"(١).

ونختم الكلام عن هذا الأمر بقول السعدي في أبيات من الشعر(٢) :

الدينُ مَبْنِيٌّ على المصالِحِ ... في جَلْبِها والدَّرْءِ للقبائِحِ

فإن تَزَاحَمْ عَدَدُ المصالحِ ... يُقَدَّمُ الأعلى من المصالحِ

وضده تَزاحُمُ المفاسدِ ... يُرْتَكَبُ الأدنى من المفاسدِ.

وختاماً:

يتبّيَن لنا أن الدنيا هي مزرعة للآخرة... والحياة الدنيا إنما جُعِلت سبيلاً للتزود، وطريقاً للسعادة والنجاة في الآخرة.

والموفق: مَن عَلِم أن الدنيا إنما هي فترة امتحان وابتلاء؛ ليجمع فيها زاده للآخرة، فهو يسعى لجمع ما ينفعه عند لقاء ربه.

والله الموفق.

(١) مدارج السالكين ١/٢٢٥.

(٢) مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، لصالح القحطاني: (ص: ١٣).

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**
٢. **إحياء علوم الدين** -للإمام أبي حامد الغزالي، ط دار المعرفة – بيروت.
٣. **إكمال المعلم بفوائد مسلم** -للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
٤. **إعلام الموقعين عن رب العالمين** -للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٥. **الأحاديث المختارة** -للإمام ضياء الدين المقدسي، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
٦. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** -للإمام شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
٧. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** -للإمام الخطيب البغدادي، د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
٨. **الجامع الصحيح (صحيح البخاري)** -للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة.
٩. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)** -للإمام ابن قيم الجوزية، ط دار المعرفة – المغرب.
١٠. **العين** -للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط مكتبة الهلال.
١١. **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)** -للإمام فخر الدين الرازي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٢. **تفسير ابن كثير** -للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣. **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** -للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط دار الكتب المصرية – بيروت.
١٤. **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** -للإمام بدر الدين بن جماعة، تحقيق: محمد هاشم الندوي، الناشر: دائرة المعارف.
١٥. **التوقيف على مهمات التعاريف** -للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، ط دار العالم، مصر.
١٦. **ذيل طبقات الحنابلة** -لأبي العباس ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان، ط مكتبة العبيكان – الرياض.
١٧. **شرح النووي على مسلم** -للإمام يحيى بن شرف النووي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٨. **شعب الإيمان** -للإمام أبو بكر البيهقي، ط بومباي – الهند.
١٩. **صحيح مسلم** -للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل – بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إسطنبول سنة ١٣٣٤ هـ).
٢٠. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** -للإمام بدر الدين العيني، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١. **العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام** -للإمام علي بن إبراهيم بن داود، ابن العطار (ت ٧٢٤ هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٢٢. **الفتاوى** -لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٣. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** -للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار المعرفة – بيروت.

٢٤.**مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية** -صالح بن محمد بن حسن آل عمير الأسمري القحطاني، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية.
٢٥.**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** -للإمام ابن قيم الجوزية، ط دار الكتاب العربي – بيروت.
٢٦.**المدهش** -للإمام ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٢٧.**المستدرك على الصحيحين** -للإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٨.**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** -للإمام أحمد بن محمد الفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت.
٢٩.**مسند أحمد** -للإمام أحمد بن حنبل، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي – دار المنهاج.
٣٠.**مسند الدارمي** -للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع – الرياض.
٣١.**معجم اللغة العربية المعاصرة** -د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وفريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٣٢.**النهاية في غريب الحديث والأثر** -للإمام مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، ط المكتبة العلمية – بيروت.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٣٧٩
أهداف البحث: ١٣٨١
المبحث الأول : التعريف بـ"استراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة"، وأدلته من القرآن والسنة ١٣٨٣
المطلب الأول: التعريف باستراتيجية الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة، وخصائص عمر الإنسان: ١٣٨٣
المطلب الثاني: الأدلة من القرآن والسنة: ١٣٨٥
المبحث الثاني: استراتيجية "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة" في السنة النبوية ١٣٨٧
تمهيد: مكانة "الانتفاع بالحياة الدنيا في الآخرة": ١٣٨٧
المطلب الأول: تجديد النية ١٣٩١
المطلب الثاني: تحديد الأولويات في الأعمال ١٣٩٢
المطلب الثالث: التوازن بين الأعمال للانتفاع بها في الآخرة ١٣٩٦
المطلب الرابع: صور من تحديد الأعمال والتوازن بينها في السنة النبوية..... ١٤٠٢
المصادر والمراجع ١٤٠٨
فهرس الموضوعات..... ١٤١١